

كلمة في سلاح الحدود وسائل الثبات على الدين

وكلمة عن صلاة الجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. نتذكّر نعم الله تعالى؛ فنعمه كثيرة خاصة وعامة، وقد أمر بشكرها، ونهى عن كفرها، ووعد الشاكرين بأن يزيد لهم، والكافرين بأن يعذبهم، فقال للشاكرين: { وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَيْئَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَّكُمْ وَلَيْئَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } وقال: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَذَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفُراً وَأَخْلَقُوا قَوْمَهُمْ دَارَ التَّوَارِجَهَمَ يَصْلُوْهَا وَيُسَنَّ الْقَرَازِ } وكفى بذلك وعياداً لمن بدل نعمة الله كفراً. فمن نعمة الله تعالى: أنه أحسن خلق الإنسان، { لَقَدْ حَلَقْنَا إِلَيْهَا فِي أَحْسَنِ تَفْوِيمٍ } فهذا فضل الله أنه أحسن خلق الإنسان، وكميل خلقه، قال الله تعالى: { الَّذِي حَلَقَ فَسَوَّاَكَ فَعَدَّلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبُّكَ } خلق الإنسان كله على صفة واحدة، ليس هناك فرق بين العربي والعجمي، والأبيض والأسود، كلهم جعل الله خلق الإنسان على هذه الصفة التي هو عليها؛ فأعطاه أولاً السمع، وإن كان هذا السمع مشتركاً بين الإنسان وبين الدواب، ولكنه نعمة عظيمة؛ بحيث إنه يسمع ما حوله من الأصوات والحركات، وتأمل حالة من فقد السمع، ماذا تقول إذا كان جالساً معكم فكانه ليس معكم؟ ومن نعم الله تعالى: نعمة البصر، وهي أيضاً مشتركة بين الإنسان وبين البهائم والطيور ونحوها، وقد يكون كثير منها أشد قوة بصر من الإنسان، ولكن لا شك أنها نعمة عظيمة، لو فكر الإنسان في هذه العين ومحفوبيتها وكيف يدرك بها الأشياء، يبصر بها الأشباح والصور التي أمامه؛ لعرف قدرة الله تعالى على كل شيء. ومن نعم الله تعالى أيضاً: نعمة الشم، أي الإحساس بالروائح التي حوله -رائحة طيبة أو رائحة خبيثة- وهي أيضاً مشتركة بين الإنسان وبين الدواب والطيور ونحوها، بحيث إنها تشم الرائحة من بعيد، ولا شك أيضاً أنها نعمة عظيمة، إذا فقدها الإنسان فقد ما حوله من هذه الروائح؛ ولذلك يميل إلى الروائح الطيبة التي هي مما تتبعش بذنه وتقوى إحساسه ونحو ذلك، فهي أيضاً من نعم الله الخاصة أو العامة لكل مخلوق. وتميز الإنسان بعمليتين: نعمة العقل، ونعمة اللسان -النطق- ميزة الله بها، لا شك أن هذه النعمة هي ميزة وفضيلته التي فضل بها، وبها أصبح ماماً ماماً ومنها؛ ولأجل ذلك إذا سلبه الله هذا العقل أصبح كأنه البهائم، أو أقل حالة منها، إذا أخذ ما وهب أسبطاً ما وجب. فهذا العقل -الذي هو تفكيرك ومعرفتك للنافع والمضار، ومعرفتك للأشياء وتفكيرك فيها- هو الذي يهتم به الإنسان إلى أن يفعل ما ينفعه، ويترك ما يضره، وبكتسب في هذه الحياة ويفكر فيها، ويبتدع وبخته، ويصنع المصنوعات التي تناسبه، وبها ينسج لباسه، ويخرز حذائه، وبيني مسكنه، ويحصل على طعامه وشرابه، ويكتسب قوته، وبها يحرث في الأرض، ويغرس فيها، ويستنتاج ويعمل الحرف والصناعات وما أشبهها، لا شك أنه إذا فقد هذا العقل لم يعرف شيئاً مما حوله، ولم يحسن شيئاً من ذلك. ولما كان كذلك كان بهذا العقل إنساناً إذا استعمله فيما ينفعه، فمن الناس من استعمل العقل في أموره الدينية الدنيوية، وأكب على مصالح دنياه ولم يفكر فيما وراء ذلك، فكان من جعل عقله وتفكيره في الشيء الذي ينفعه في دنياه، وبيني -أو نسي- ما بعد الموت، وأقبل على أعماله الدينية، هؤلاء هم عبيد الدنيا، عمروا الدنيا، وابتدعوا واحتبرعوا وصنعوا، وحصلوا على مصالحهم الدنيوية، صدق عليهم قول الله تعالى: { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } همهم دنياهم، حياتهم الدينية، ولم يعملوا عقولهم فيما بين أيديهم وما خلفهم؛ كانوا عبيداً للدنيا، سخرهم الله تعالى فابتدعوا واحتبرعوا وصنعوا وعملوا؛ فكانوا خداماً لهذا النوع من البشر. وأخرون أعملوا عقولهم فيما بين أيديهم وما خلفهم؛ فدلمهم هذا الإعمال على أنهم لا بد عليهم واجبات غير الواجبات الدينية، حيث نظروا في هذه المخلوقات العلوية والسفلى، ونظروا في هذه الحيوانات - صغيرها وكبيرها- وعلموا أن لها ربا وحالقاً ومدبراً، يتصرف في هذا الكون، وأنه ما خلقها عشاً، وأنه لا بد أنه يتصرف في هذا الخلق كما يشاء، فلا حرج أعملوا أفكارهم، قال الله تعالى: { أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقُوهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ تَسَأَلْ حَسِيفٌ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ } . فلذلك تفكروا، وعلموا أن لهذا الكون ربا وحالقاً، وأنه ما خلقهم عشاً، ولن يتركهم هملاً، ثم علموا بعد ذلك أن عليهم حقاً لهذا رب العظيم الذي أوجدهم، وكميل خلقهم، وأعطاهم ما يتمنون، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، سخر لهم هذه المخلوقات؛ حتى ينتفعوا بها في حياتهم، وحتى يعتبروا بها أنهم مخلوقون، وأنها مخلوقة، وأن الذي خلقهم لا يهملهم ولا يضيعهم؛ بل لا بد أنه قد أمرهم ونهىهم. فهكذا أهل العقول الذكية الذين تفكروا ودلهم تفكيرهم على أن لهم ربا، وأن ربيهم لا بد أن له عليهم حقوقاً، ومع ذلك فإن عقولهم قد لا تدلهم على ما خلقوا له، ولا ما أمروا به بالتفاصيل، ولا يتبيّن لهم أن العبادات كذا وكذا، قد جاءتهم الرسل، كمل الله تعالى معرفتهم فأرسل رسله، وأنزل كتابه، وامتن على عباده بذلك؛ حتى يعرفوا ما أمروا به، وما كلفوا به.